

التداعيات المحتملة للحرب الروسية الأوكرانية على الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

غوكتوغ سونماز

توفيرها من الدول المجاورة. كما مثلت الحرب أيضا الحالة الأولى في التاريخ الحديث التي يستخدم فيها الاقتصاد كوسيلة رادعة. حيث قامت الكثير من الشركات بإيقاف فعاليتها في روسيا، وتم اتخاذ خطوات لإخراج روسيا من

تحصل أوكرانيا التي لا تعتبر عضواً في منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو) على الدعم اللازم، ولم يتم تقديم أي دعم عسكري شامل لها من الناتو، فيما قدمت بعض الدول مساهمات فردية من الذخيرة العسكرية تم

تعتبر منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إحدى النقاط المحورية الرئيسة التي ستشهد أكبر تداعيات للحرب الروسية الأوكرانية الجارية بغض النظر عن نتيجة هذه الحرب وفترتها، ويمكن أن تضيف نتائج هذه الحرب ديناميات جديدة للصراعات في المنطقة.

“

تسببت عملية غزو أوكرانيا التي أطلقتها روسيا في 24 فبراير/ شباط الماضي في تربع أجواء الصراع على واجهة وسائل الإعلام في مختلف أنحاء العالم. فمن ناحية نقلت الأزمة الروسية الأوكرانية التي اعتمدت على مسألة الطاقة، إلى مرحلة جديدة لم نشهدها منذ نهاية الحرب الباردة، ومن ناحية أخرى تحركت روسيا نحو هدفها الاستراتيجي الذي يشكل البنية التحتية والأهداف التكتيكية لترسيخ خطوات القرم ودونيتسك ولوهانسك. ومن أجل مواجهة الهجوم، لم



جهود أوكرانيا للانضمام إلى الناتو، واعتراف أوكرانيا بالكيانات في دونيتسك ولوهانسك كدولتين مستقلتين، والاعتراف بشبه جزيرة القرم بأنها أراض روسية. هذا في الوقت الذي انعكست فيه على وسائل الإعلام بعض التقارير الإيجابية حول موقف أوكرانيا من هذه الطلبات، لكن رغم هذه التوجهات إلا أنه لم يتم الحصول على نتيجة نهائية حتى الآن، فيما عارضت بعض الشخصيات بشدة هذه المطالب مؤكدة أنها تعني تدمير أوكرانيا. لقد شكّل كل من الدور الرئيسي لروسيا في إمدادات الطاقة وموقعها الفتحال لاسيما في البنية التحتية للطاقة في أوروبا الشرقية ودول البلطيق تحدياً مهماً للخطوات التي يمكن اتخاذها ضد روسيا. ومع إطالة أمد الصراع، فإن هذا المشهد أصبح يشبه الأوضاع التي شهدت فشلاً في اتخاذ موقف فعال ضد روسيا لمواجهة الأزمات الروسية الأوكرانية السابقة، أو لمواجهة الخطوات الروسية بشكل عام، والتي تبلغ أكثر من 20 خطوة، والتي استغلت فيها روسيا مسألة الطاقة كورقة ضغط في المناطق الجغرافية التي كانت تابعة لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية.

دور مبيعات الصناعات الدفاعية والأسلحة في علاقات روسيا مع الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

من الممكن القول إن تداعيات تطورات الوضع في الحرب الروسية-الأوكرانية قد تكون مهمة للغاية بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

من الصعب أكثر فأكثر تخفيف الضغوط الاقتصادية عن البلاد.

في الوقت الراهن، وبينما يستمر النزاع بوتيرة منخفضة، هناك انطباع بأن الطرفين يرغبان في تحقيق أهداف دبلوماسية وليس هدفاً عسكرياً نهائياً. حيث سعت أوكرانيا من خلال المقاومة التي حاولت إظهارها إلى الحصول على ضوء أخضر من الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي فيما يتعلق بانضمامها لهما، كما هدفت إلى رفع قيمتها الخاصة لدى هذه الجهات الفاعلة. أما روسيا فممن ناحيتها أعربت عن أملها في تأجيل

أنظمة التحويلات المالية العالمية، ووضعت قيوداً على الواردات من روسيا، وهذا كله تسبب في تكبد الروبل والشركات الروسية الرائدة خسائر كبيرة. ولعبت المرحلة الأولى من الحرب دوراً تعويضياً لروسيا التي لا تمتلك الغاز الطبيعي والنفط فقط بل لديها أيضاً احتياطي كبير من الذهب، وذلك بسبب الزيادة السريعة في هذه السلع، حيث قيل بأن روسيا استعدت لمثل هذا الاحتمال الاقتصادي وخصصت ميزانية خاصة تقدر بنحو 680 مليار دولار لغزو أوكرانيا قبل العملية. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه مع مرور الوقت سيصبح



وكانت تحركات الأسطول الروسي في شرق البحر المتوسط في الأيام الأولى للحرب إحدى التطورات المهمة التي لفتت الانتباه إلى هذه النقطة. ويبدو من المرجح أن تتأثر الأنشطة المتصاعدة لروسيا في المنطقة خلال السنوات العشر الأخيرة أيضا جراء التنافس العالمي، حيث أن لدى روسيا جذورا تاريخية وبصمات اقتصادية وعسكرية في المنطقة الجغرافية الممتدة من الجزائر وليبيا إلى سوريا ومن اليمن إلى مصر. من ناحية أخرى، عندما نقرن الانسحاب الأمريكي من المنطقة باحتمالية حصول روسيا على مناطق جديدة في أوكرانيا مع النفوذ الذي حققته روسيا في الأراضي السورية، فيمكن القول إن هذه الأمور يمكن أن تكون مشجعة لخطوات روسية جديدة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، وبذلك يمكنها اختبار قوة الناتو والاتحاد الأوروبي، وستكون روسيا قادرة على اتخاذ مواقف أكثر فعالية وتوسيع رقعة أهدافها في المنطقة. من ناحية أخرى، لو تناولنا مثل هذا الوضع، لا سيما في ظل الانسحاب الأمريكي من المنطقة، ستزداد الانقسات الجديدة التي ربما تنشأ في العلاقات بين دول المنطقة والولايات المتحدة وهذا سيساهم في زيادة دينامية وأهمية العلاقات بين الجهات الفاعلة في المنطقة والفاعلين الذين يزداد توجههم نحو المنطقة مثل روسيا والصين.

تشير الأنشطة الدبلوماسية والجهود المبذولة لإصلاح التحالفات السياسية الخارجية لاسيما بعد الانسحاب الأمريكي من الخليج، إلى تزعزع هذه

الثقة، وقد يؤدي هذا الوضع إلى انعكاسات في المنطقة. ومن المفارقات أن فشل روسيا في أوكرانيا قد يكون له نتيجة مماثلة بالنسبة للمنطقة. لأن روسيا قد تتخذ خطوة مضادة رداً على خسارة محتملة في أوكرانيا، وستكون قادرة على زيادة عمقها في المنطقة لاسيما في ليبيا وسوريا من خلال عناصرها في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ثم تزيد قدرتها في منطقة إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى التي ازداد فيها نفوذها من خلال شركاتها العسكرية الخاصة هناك (مثل الفاغنز). وفي مثل هذه الحالة، قد يتم استبدال التوجه الثاني في السيناريو الأول، وهو تسارع محاولات جديدة لإنهاء أزمة الثقة، بظهور استقطابات لمواجهة الإجراءات الروسية ضد الفاعلين في المنطقة وبحث روسيا والصين عن حلفاء جدد في المنطقة. وفي هذا الوضع أيضا، من الممكن توقع أن تتجه روسيا إلى فتح جبهات جديدة وتحصين الجهات الموجودة في شمال إفريقيا والشرق الأوسط من خلال النفوذ المتزايد لها عبر شركاتها العسكرية الخاصة وموارد الطاقة ومبيعات الأسلحة. لذلك، يمكن القول إن كلا الاحتمالين سيكون لهما عواقب مهمة على التداعيات المستقبلية للتنافس العالمي على المنطقة.

تلعب منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا دوراً مهماً للغاية في سياق مبيعات الصناعات الدفاعية الروسية التي تعد أهم عنصر في التأثير العالمي لروسيا إضافة إلى مواردها من الطاقة، وبالتالي تشكل نقطة انطلاق للجهود المبذولة لزيادة نفوذها في تلك

المنطقة. وعلى الرغم من أن بيلاروسيا وكازاخستان هما اللاعبان الرئيسيان في مبيعات الأسلحة الروسية بنسبة 99٪ و 89٪، ثم تأتي الصين بنسبة 77٪، إلا أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا تشكل إحدى أهم مسارات صادرات الصناعات الدفاعية لروسيا. حيث تستورد الجزائر 69٪ من احتياجاتها العسكرية من روسيا بينما تستورد مصر 41٪ والعراق 34٪ وليبيا واليمن نحو 30٪ وسوريا 70٪ من احتياجاتها العسكرية من روسيا. كما تعتبر روسيا واحدة من أكبر مصدري السلاح الثلاثة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة بنسبة نحو 5٪. جدير بالذكر أن روسيا تبيع معدات عسكرية إلى 45 دولة، ووصلت إلى نسبة 26% من الاستحواذ على السوق العالمي للسلاح في الفترة 2011-2015، لكنها تراجعت إلى نسبة تقارب 20% بعد عام 2015 لاسيما مع تراجع مبيعاتها إلى الهند، بينما ارتفعت حصة الولايات المتحدة من 32٪ إلى 36٪ في نفس الفترة. إن حصة روسيا في واردات الصناعات الدفاعية للبلدان المذكورة تعتبر مؤشراً على تأثيرها في الدول المجاورة وجهودها لزيادة نفوذها في الشرق الأوسط. حيث تصدر روسيا الكثير من المعدات العسكرية، من طائرات الهليكوبتر إلى الدبابات ومن أنظمة الدفاع الجوي إلى ناقلات الجند المدرعة، ومن بنادق المشاة إلى الصواريخ المضادة للدبابات، إلى مجموعة كبيرة من الدول. وتبرز شركات مثل ألاماز أنتي وشركة الطائرات المتحدة وشركة بناء السفن وأورال فاغونزافود وشركة الصواريخ التكتيكية على قائمة أهم الشركات الروسية المنتجة للأسلحة فيما تبرز

شركة روس أوبورون إكسبورت على قائمة الشركات الفاعلة في المناطق التي تورد الأسلحة الروسية. وازدادت مبيعات الأسلحة الروسية إلى الشرق الأوسط بنسبة 26% في الفترة بين عامي 2011 و2015. وكانت منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا لها حجم يتراوح بين 37 و40% في صادرات الصناعات الدفاعية العالمية لروسيا في عام 2015، مع تأثير الأزمة السورية، لكن عند تقييم هذا المعدل منذ عام 2000، يمكن القول إن المنطقة ما زالت مهمة إلى جانب دول الجوار لروسيا حيث وصل الحجم إلى نحو 20%. ويمكننا القول إنه عندما حاولت روسيا زيادة نفوذها في الشرق الأوسط لاسيما في فترة ما بعد 2015، ارتفعت صادراتها العسكرية إلى الشرق الأوسط بنسبة 64%.

التداعيات المحتملة للحرب الروسية الأوكرانية على تطورات الأوضاع في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا

لو نظرنا إلى المشهد من جميع جوانبه، سنجد أن الصورة التي سترسمها نتائج الحرب الروسية-الأوكرانية والتي ستؤثر على الموقع السياسي والاقتصادي العام لروسيا وعلى قدرتها العسكرية، سيكون لها انعكاسات كبيرة في الطلب على الأسلحة والمعدات العسكرية الروسية وانتاجها وتوريدها. بالإضافة إلى ذلك، فإن استجابة الولايات المتحدة والجهات الأوروبية الفاعلة، تجاه الأزمة الأوكرانية، ستشكل النهج المقبل لمؤسسات مثل حلف شمال

الأطلسي والاتحاد الأوروبي، أما ضعف الثقة الذي قد يضاف إلى انسحاب الولايات المتحدة من بقعة واسعة في منطقة الشرق الأوسط، سيخلق أجواء من شأنها فتح مساحة أكبر لروسيا والصين في هذه المرحلة. كما هو معروف كان هنالك عدم ارتياح من بعض دول المنطقة جراء تمكن دولة الإمارات من شراء طائرات مقاتلة من طراز أف-35 الأمريكية وتوقيع صفقة لشراء سو-35 الروسية، بينما هذه الدول واجهت عراقيل لتأمين طائراتها المثيلة من الولايات المتحدة، لذلك فإن توجه الدول إلى توفير طائراتها من روسيا قد يلعب أيضا دورا داعما في مثل هذا السيناريو.

تعتبر ليبيا وسوريا دولتين لهما أولوية لروسيا لتعميق دورها في المنطقة في ظل الظروف الراهنة، وإضافة إلى ذلك من الممكن أن تلعب مبيعات الأسلحة المكثفة إلى اليمن والجزائر ووجود شركات عسكرية روسية خاصة في إفريقيا أدوار مهمة في هذا السياق. وقد يؤدي الدعم الروسي المتزايد لجناح خليفة حفتر والأنشطة العسكرية المتزايدة في ليبيا إلى نشوب صراعات جديدة وتحركات للاجئين هناك. من ناحية أخرى، من الممكن لروسيا المتواجدة في سوريا بشكل فعال أن تعبر شكل وثقل مشاركتها هناك، وأن تتسبب في تحركات جديدة في المناطق التي تنشط فيها في سوريا. وستساهم هاتان الحالتان في اكتساب موجات الهجرة من ليبيا وسوريا تسارعا جديداً، وستكونان لديهما القدرة على خلق حالة من عدم الاستقرار في المناطق المجاورة، والتي

من المرجح أن تستمر لعدة سنوات. وعند تناول هذه الأوضاع في سياق الطاقة من حيث تأثيرها على المنطقة، من الممكن أن يكون للتوتر الناجم عن الطاقة آثار على السعودية والإمارات. ويمكن توقع أن تزيد دول الخليج إمداداتها في الفترة المقبلة من الطاقة، من أجل السيطرة على تحركات سوق الطاقة من قبل الحكومات المعادية لروسيا وإضعاف الدور الروسي في هذا المجال. بالإضافة إلى ذلك، من المهم متابعة ما إذا كانت زعزعة الثقة التي تشهدها الجهات الغنية بالنفط والمستفيدة من ارتفاع أسعار النفط، في علاقاتها مع الولايات المتحدة مع خطة انسحاب الأخيرة من المنطقة وهل ستعكس زعزعة الثقة على هذه الأجواء. لأن التطورات على هذه الجبهة قد ينجم عنها عواقب إقليمية وعالية ليس فقط على موردي الطاقة والبلدان الغنية بموارد الطاقة الطبيعية، ولكن في سياق الطلب على الطاقة أيضا. لذلك، تعتبر منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا إحدى النقاط المحورية الرئيسة التي ستشهد أكبر تداعيات للحرب الروسية الأوكرانية الجارية بغض النظر عن نتيجة هذه الحرب وفترتها، ويمكن أن تصيف نتائج هذه الحرب ديناميات جديدة للصراعات في المنطقة. ■

غوكتوغ سونماز: أكاديمي من تركيا، استاذ مساعد دكتور في قسم العلاقات الدولية بجامعة نجم الدين أربكان، مدير قسم الدراسات الأمنية في مركز اورسام.